

«ربابة الظفيري» نجر الجمهور.. في اليونسكو

مهلي حشاش لـ «الأنباء»: أنا أفضل عازف في الوطن العربي

ليست كباقي الآلات الأخرى وهي تعتبر من موروثاتنا الجميلة وهي ليست من أجل جلب المال.

من أفضل عازف ربابة في الخليج العربي؟
• انما منحت الربابة أمام الفارس الذهبي العام الماضي من المملكة الأردنية الهاشمية كأفضل عازف على مستوى الوطن العربي.

حدثنا عن مسرح اليونسكو في باريس ومتى كان ذلك؟

• نعم كان في عام 2006 حين دعيت من ضمن وفد لدولة الكويت في هذا المهرجان وكذلك كانت فرقة تلفزيون الكويت شاركت ايضا بنفس العام، وكانت الفقرة ان اقوم بالعزف المنفرد على الربابة امام اعداد كبيرة وحشود من الجمهور، وكرمت من قبل اللجنة المنظمة لمهرجان اليونسكو وكانت هذه التجربة بالنسبة لي هي النقلة التي اظهرتني عالميا امام الجمهور.

هل انصفت القنوات الفضائية هذه الآلة؟

• القنوات الفضائية لها سلبيات وإيجابيات، سلبياتها ان اغلب الفضائيات لا تفرق بين العازف المقتدر والمبتدئ وهذا اكبر الأخطاء التي تقع به القنوات، وإيجابياتها انها واسعة الانتشار.

هل تشارك في المنتديات الشعبية عبر الشبكة العنكبوتية وهل يوجد لك موقع على هذه الشبكة؟

• نعم لي مشاركات كثيرة وافتتحت الأونة الاخيرة موقعي الرسمي واسمه «المقطان»، وهذا هو رابط الموقع واتمنى من القراء زيارة موقعي المتواضع www.mhily.com

صوت لدي.

هل ترى ان هناك قبولاً من بعض الشباب على تعلم العزف على الربابة؟

• الشباب لهم هوايات كثيرة وآسة الربابة يوجد بتعلمها صعوبة وهذا الجيل من الشباب له هوايته والمعترف عليه انها ترتبط بالبادية اي البدو وهم المعنيون بها ولاحظت في الآونة الاخيرة انه يوجد اهتمام كبير حتى عند الحضرة ولي اصحاب ولهم مراكز مرموقة في البلاد ومنهم الكثير مهتمون في آلة الربابة ويغتنونها ولديهم دراية ومعرفة تامة بها تخفى حتى على انا.

في السابق تعلم ان العزف عليها يكون في بيت الشعر قديما وبالاصح بالمجلس الآن براك ابن يتم ذلك في ظل هذه المتغيرات بوتقنا الحالي؟

• من المؤكد ان الربابة بالسابق في بيوت الشعر «المجلس» الذي يجتمع به افراد القبيلة وتعرف حياة البادية ليس هناك من يتذمر من صوت الربابة الكل يعشقها اما الآن في هذه الظروف نادرا ما اقوم بالعزف بها في المجلس (الدويان) وذلك لاسباب كثيرة منها ان صوت الربابة عاليا ويستوجب علي اثناء العزف عليها رفع صوتي، وتحسبا للازعاج ومضايقة احد، افضل العزف عليها في المزرعة او اثناء ذهابي مع الاصدقاء الى البر.

هل هناك مردود مادي الآلة كثيرا من الآلات الأخرى؟

• انا استخدم آلة الربابة كهواية اما مسألة المردود المادي فهي

وانها هواية فقط وارتبطت معي من الصغر ولن أتركها لقربها مني وأنا وفي لها.

ما سبب هذا الوفاء بينك وبين آلة الربابة؟

• تربطني علاقة قديمة بالآلة الربابة ويجب علي ان اكون وفي لها كما كانت تشاركني الكثير من أسراري والتي لا أستطيع البوح بها إلا عن طريق أوتارها الحزينة

يقال إنك ابتكرت ألحانا جديدة على الربابة؟

• نعم ابتكرت العديد من الألحان التي لم تكن معروفة من قبل في الشعر النبطي وهي في بحر المسحوب الذي طورت ألحانه كثيرا.

تعتبر آلة الربابة من التراث الشعبي ولكن مع الأسف نرى عزوف البعض عنها ما سبب ذلك؟

• فعلا الربابة من الموروث الشعبي ويجب ان نحافظ على موروثنا وأرى أن العزوف عنها لدى البعض يعتقد انه إذا استمع الى الربابة تحرر من إرثه الجميل وتراث الأجداد للسعي وراء ثقافته المزيفة.

نرى البعض لديه طقوس معينة ومثال على ذلك الشاعر حين يكتب قصيدته توجد له طقوس معينة أثناء كتابة القصيدة. مهلي حشاش أين أنت من ذلك؟

• اجمل الاوقات التي استمتع بها بالعزف على الربابة حين اكون في رحلة برية حينها اكون في قمة سعادتي مع هذه الآلة القريبة من القلب أضف الى ذلك ان الابتعاد عن المدينة يعتبر راحة نفسية وغير ذلك تجدني مع الربابة بأعلى



مهلي حشاش

الأمير» عام 1999. وحاصل على لقب العازف الأول للربابة في الوطن العربي، وهذا نص اللقاء:

الشاعر والعازف مهلي حشاش الظفيري هل من المفترض أن يكون عازف الربابة شاعر؟

• لا يشترط ان يكون عازف الربابة شاعرا لكن يفضل ان يكون شاعرا لكي يحسن الاختيار من القصائد ويتجنب كسر الابيات الشعرية، وإن تمكن من الشعر فسبب عذ في العزف على هذه الآلة.

وما مدى ارتباط الشاعر مهلي حشاش بـ الربابة؟

• بالطبع أخي الكريم الربابة هي وسيلة وهي ليست للترفيه

حين أكون في رحلة برية تجدني في قمة سعادتي مع هذه الآلة القريبة من القلب



من القلب

الربابة ما هي وكيف عزفت؟

الربابة تصنع من جلد الخروف بعد إزالة شعره وتجفيفه، حيث يشد الجلد على مربع مستطيل من الخشب من ناحيتي الوجه والظهر، وتدخل في هذا المستطيل عصا مستديرة، ويمد على الجلد شعر من ذيل الفرس (السبيبي) وهو الوتر، ويرفع عن الجلد قطعة صغيرة من الخشب مثلثة الشكل تسمى «الديك». وللحصول على الانغام يجز على الربابة بوتر صنع من شعر الخيل.

عزفت الربابة عند العرب قديما وكانوا يغنون أشعارهم على صوتها ومعهم انتقلت إلى الأندلس ثم إلى أوروبا وكان ذلك حوالي القرن الحادي عشر الميلادي، وكانت هذه الآلة العربية هي الجد الشرعي لجميع ما يعرف اليوم من الآلات الموسيقية الوترية التي يعزف عليها بواسطة الأقواس، والبدوي كأي إنسان يطرب للصوت والموسيقى فهو أحيانا يأنس حتى بصوت الرمال التي تسوقها الزوابع، وتارة لرغاء الناقة والجمال، ونغمة النجمة والخروف، إنه يضع الأجراس في أعناق الأغنام ويطرب لصوتها وهي تتحرك، ويتغزل بتغريد العصفير، ونغمة صوت الفغاة الجميلة، وأهازيج العرب وصلصلة السيوف ولعلعة الرصاص. هذا البدوي يحب الموسيقى بطبعه، ومنها جرات الربابة أو صوت الناي وأحيانا بالهدوء والصمت، لأن الهدوء لغة وموسيقى، والصمت لغة وموسيقى أيضا، والبدوي فهمها وأحبها قبل غيره.

إن صوت الطبيعة من الريح إلى الهدوء، وحفيف أوراق الأشجار وحتى تعيق الغراب، كل ذلك موسيقى دون آلات مصنوعة. وقد اضطر البدوي للتكيف مع هذا الوضع، فأوجد الكلمة التي تناسب هذا اللحن الموسيقي، سواء الذي يشعر به من الطبيعة أو الذي أوجده هو متناسبا مع الحركات الصادرة عنه، وأوجد الآلة التي تناسب اللحن والوزن والحركة، فكانت آلات الحركة والآلات الثبات.

إن الطرب شيء أساسي في حياة الإنسان وفي الوجود، حتى المخلوقات تطرب لشيء معين، فالإبل تطرب كالإنسان للشداء، كما تطرب الأغنام والماعز لأصوات الأجراس وتطرب الخيل لأصوات الفرسان وصيحاتهم. وقد بدأ البدوي أداة طربه من الجلد والشعر، وهو المتوافر لديه فوضع جلدًا على عظم، ثم ربط شعرا طويلا، فحركه فكان له صوت، واستعاض عن يده بشعر آخر مشدود إلى قوس، وباحتكاك الشعر بعضه ببعض يتجاوب الصوت الصادر من تجويف الجلد، فتكون بذلك الجرة. ويمكن لنا أن نتصور كيف أن الإنسان قد أحب الأشياء والحيوانات من حوله، وكيف أنه بالصدفة طرب لاحتكاك الأوتار بعضها ببعض، وتطور ذلك إلى صنع الآلات الموسيقية والوترية، حتى تم التوصل إلى آلة الربابة، بما فيها من ذوق وترتيب واختيار جلد الغزال وشعر الفرس والحصان، بدلا من الجمل والناقة. وهذه الأوتار من الشعر لا بد لها أن تكون قوية مترابطة مشدودة لا تخلو من الرطوبة شبه الجافة، لذا استعملوا «اللبان» وهو عبارة عن صمغ وشب معا، مما يزيد في شد الأوتار، فتخرج منها أصوات جميلة ولطيفة، وتحتاج هذه الأصوات أو الانغام إلى لترتيب

وهو ما يتم بطريقة التقطيع من اليد الموجودة في الطرف العلوي للربابة أي قرب نهاية الوتر من الأعلى، فتتناسب الموجات الصادرة عن تصادم اليد بتلك الصادرة عن احتكاك وتر القوس بوتر الربابة فيخرج الصوت (المسبي) «الجرة» وهو وزن شعري ولحن موزون. وتمتاز الربابة بأن صوتها مميز عن بقية أدوات العزف، ويمكن جر اللحن البطيء أو السريع عليها، والهائئ والصاخب، والقصير الوزن والطويل والوزن من الشعر ولحن. وبصوت الربابة تجود قريحة الشاعر البدوي، فيقول الشعر الحزين أو الحماسي أو الغزلي، وكثيرا ما كانت الربابة أداة يدافع بها البدوي عن نفسه، وهي أي تطلب العزف عليها، وهذا في الحالات التي يكون في الأمر تحد حيث يقول شعرا على الربابة يرد به على الاتهام. وربما يكون الطعن بعشيرته أو حبيبته أو شخصه أو صديقه.

متى اكتشفت الربابة.. وما قصة اكتشافها؟
• حصل كثيرة تداولتها الأجيال حول قصة اكتشاف الربابة إلا أن أقرب هذه القصص للواقعية كانت قصة ذلك الرجل وزوجته، حيث نشب خلاف بينهما اتهم الزوج زوجته اتهاما باطلا وأدرك فيما بعد أنه مخطئ، مما حدا بالزوجة للنزوح لأهلها رافضة محاولات زوجها في استرجاعها حتى بلغ بها أن اشترطت للعودة.. فقالت «لن أعود حتى يتكلم العود» وهي تقصد عود الشجر أو الخشب، احتار الرجل في أمرها فذهب لعجوز حكيمه من أهل قبيلته وقص عليها ما حدث فقالت له الأمر بسيط، وطلبت منه إحضار عود من «عوشزه» نبات صحراوي يسميه البعض «عوسج» فأحضر ما طلبت وقالت له أخرق رأس هذا العود من الأطراف وفعل ذلك، وطلبت منه أيضا إحضار جلد «حوار» والحوار ابن الناقة فأحضره ثم قامت بحشو هذا الجلد بأوراق نباتة «العرغج»، وإخيرا طلبت منه إحضار سببيا من ذيل الخيل وقالت اجعل هذا السبب في العود الذي خرقته ثم قالت له اعزف الآن عزف فإذا بالعود يتكلم أي (يصدر لحنا) ثم اسرع به إلى أهل زوجته وطلب مقابلتها ليقول لها أنه فعل المستحيل لإرضائها وما هو يلبي شرطها في العودة ويجعل العود يتكلم ثم أنشد بعدها هذا البيت:

يا بند لا يعجبك صوت الربابة

تراه جلد حوير فوق عيدان

اذن هذه هي نشأة الربابة.. كانت بسبب شرط امرأة كما يقال:

وما هي الا عود عوسج وجلد حوار.. وقيل ان افضل الجلود لصنع الربابة هو جلد «الذيب». لكن في الأمر خطورة بالغة لذلك كان جلد ابن الناقة انسب وأمن ومن حيث هذه القصة نستشف مكان نشأة الربابة وهي بادية الجزيرة العربية الا ان هناك من قال انها هنديّة الأصل لكن فيما ورد من أبحاث علامة الجزيرة «عبدالله بن خميس» انها نجدية الأصل والمنشأ وتختلف الحان الربابة حسب امكانيات العازف والذي يكون ملما بجور الشعر حيث يوجد الهجيني، والمسحوب، والصخري، والسامري.



يضحك وهو يلعب مع الموت عرضات خاض المغازي كلها والحرايب

واليوم للخلاق برد وسلامات الموت غيب شايبين وأي شايب

تبكيه صفرن من دلانن وخلفات ومارد ربي عبده اليوم خايب

في رحمتك يالله رب السماوات تسقيه من رحمتك وبل السحاب

حتى ان قبره يزهر بكل الاوقات

• علي الفهيد

يلعب مع الموت عرضات

عانق الشاعر الكبير علي الفهيد في قصيدته عمق المعاني الإيمانية والإنسانية الخالصة وهو يرثي والده الراحل بأبيات قدمها شاعر لوالده بعد رحيله.

مرحوم يامحفي خفوف الركائب

يوم الفشق في كل وجهه وصليات

ما عاد ابنشد منهو اليوم غايب

والا عيونني تبكي لميتن مات

راح الفخر راح الظفر بالنوايب

لاصاقت الدنيا بعينه سهلات

ماعدهم والا يقولون هايب

للتواصل

صفحات الواحة هي منكم ولكم وبكم. لنستقبل قصائدكم، وكتاباتكم وخواتمكم وآراءكم وانتقاداتكم لنكون رثمتكم الفالحة لتتفلسوا معنا شعرا.

• تواصلكم معنا يصل عبر فاكس التحرير: 24831217 أو عن طريق البريد الالكتروني alwaha@alnanba.com.kw

طبيعة اللغة الشعرية عند الشعراء

اللغة هي الوسيلة التي يعبر من خلالها الشاعر عن مشاعره، أو يقرر فيها أفكاره، أو تحدد مواقفه الذاتية من الحياة.

واللغة في المقام الأول لكل شاعر أسلوب حياة، حيث تبرز تعامله الأمتل مع الأدب، ولا تدل على

أن الأدب لا يد أن يكون بهذه الطريقة، وهذا الكلام يعني عبارة أدق أن كل شاعر له طقوسه الخاصة في التعامل مع اللغة الشعرية لديه، ففالح الدهمان لا يتعامل مع الضمائر وفق ما ينبغي أن تكون عليه هذه الضمائر في الجملة الشعرية، بل وفق ما يريد من هذه الضمائر أن تكون، هذا الارتباك في مسألة الضمائر خلق لديه لغة انفعالية صاخبة رغم ما بها من عاطفة وشاعرية فذة، يدعمها خيال شعري خصب، وهو هنا لا يتوافق مع أخيه وابن أمه وأبيه، الشاعر صالح الظفيري الغائب عن الأنظار من مدة، يجتج في لغته الشعرية إلى الهدوء والعذوبة، أما سليمان المانع فلغته الشعرية سهلة مرنة، بينما لا نرى هذه السهولة عند نايف صقر الذي تبدو لغته غير مستقرة، لكننا نلمس هذا الهدوء والروية في خالد الفيصل الشعرية التي تظهر مخملية ناعمة رغم ميل صاحبها إلى التقليدية المتطلعة إلى العصرية، في الوقت الذي تبدو فيه لغة فهد دوحان لغة لاهثة وراكضة ومهرولة وكأنها تريد الانفلات والهروب من بين السطور، علاوة على أننا نلمس فن الصفة والمهارة الشعرية عند فهد عافت، لكننا لا نجد هذه الحالة عند مسفر الدوسري، إذ تختلف لغته الشعرية عن لغة فهد عافت الشعرية، حيث تبدو لغة الدوسري متماثلة بدلال، إذ تأتي رقرافة أشبه بالماء الذي ينقل من قم الإبريق أو في السقاء كما هو الحال في الكتابة التراثية العربية القديمة.

إن هذه الأشياء وما سيأتي بعدها، لا تعبر عن طبيعة اللغة أو الشعر كحالة محايدة، وإنما تدل على طريقة كل شاعر لفهم هذه اللغة، فشاعر مثل صالح مصطلح الحربي تشكل القافية الشعرية لديه جزء من اللغة، وهذه الحالة لديه أشبه ما تكون بالعقدة، وفي بعض المرات تأتي في المكان غير المناسب، في الوقت الذي تأتي فيه اللغة الشعرية عند طلال حمزة لغة اقتصادية، أي محسوبة وكأنها تجيء «القطارة» ولعله يعد الكلمات قبل أن يرضعها فوق السطور، بينما تأتي لغة الحميدي الثقفي لغة متمردة تكاد تتفق مع لغة فهد دوحان من حيث الحركة والميل إلى التوثب، غير أن لغة دوحان تجري في مارتون مفتوح، بينما لغة الثقفي تترد الثورة والاحتجاج على نطمية السياق، أما لغة محمد المرزوقي فهي لغة مكثفة وليست معقدة كلغة فهد المرسل التي لا تخلو من الحشو.

لا يكاد يكون بدر صفوق في معزل عن هذا النقاش، حيث يحرص في الغالب على إيجاد علاقة بين الألفاظ، وذلك في جنوحه للتعريفات، وكأنه يريد الكفر بلغته من الشعر إلى خارج الشعر، بينما الحال عند ناصر حطاب الدهمشي تكون مختلفة، إذ إنه لا يتحرج من استعمال أي مفردة حتى ولو جاءت في غير سياقها المناسب لها، وهو هنا يكاد يقترب من صالح مصطلح، لكن مشكلة مصطلح مع القافية بينما حطاب أزمته مع المفردة، وحال ناصر حطاب تكاد تتقاطع مع حالة عبدالرحمن عادل الشمري الذي لا يتحرج هو الآخر من استعمال بعض المفردات ولو جاءت في غير سياقها المناسب لها، وقد تكون الصياغة عند الشمري مشوشة في بعض الأحيان، لكنها لم ترق إلى أن تكون أزمته كما هو الحال مع مشعل الدايدي، وكأنه يلتمس الكلمات من الشتات ويضع بعضها فوق بعض، بينما يبدو التحاليل البلاغي واضحا وجليا في لغة خالد صالح الحربي، مما قد يظهره هذا التحاليل عن الحالة الشعرية التي عليها، ويرمي به هذا التعامل خارج الشعر، وهو هنا يلتقي مع بدر صفوق مع اختلاف وسيلة الرمي، بينما تظل اللغة الشعرية عند خالد قماش تميل إلى العبثية واللامبالاة، حيث لا يحسب لها أي حساب.

هذه الأمور لا تعتبر منقصات تنخر في جسم التجربة الشعرية، ولا يمكن أن تكون تلك مميزات تفضل هذا الشاعر على البقية من أقرانه أو زملائه، لكنها محاولة لفهم طبيعة الشخصية الفنية عند كل شاعر في تعامله مع اللغة. فالأدب والشعر بشكل خاص يعتبر في معزل عن هذه الأجواء حالة محايدة، لكن أسلوب كل شاعر هو الذي يحدد لنا طبيعته في تعامله مع هذا الإجراء المتبع والذي نسميه بالشعر، فطريقة فهم كل شاعر للغة، ومدى إفساسه بهذه اللغة، ومن ثم كيفية استعماله لها تختلف من شاعر لشاعر، وهي التي تحدد الشدة الشخصية الفنية في تعامل كل شاعر على حدة مع النص.

• محمد مهايش